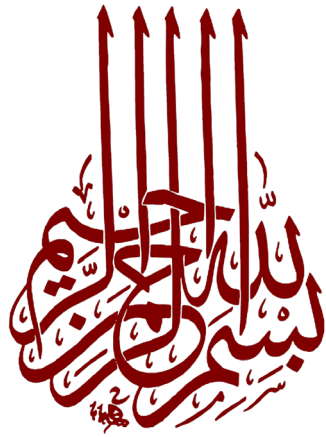


البيان المختصر لحديث أم زرع

بقلم: محمد بن سليمان المهنا
جزء من محاضرة أُلقيت بتاريخ ٦ / ٦ / ١٤٢٦ هـ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ البيان المختصر لحديث أم زرع ﴾

بقلم: محمد بن سليمان المهنا

جزء من محاضرة أُلقيت بتاريخ

١٤٢٦ / ٦ / ٦ هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين،، أما بعد:

فإن أكبر نعمة، وأعظم منه من الله بها على عباده: نعمة
إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ
بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته، ويزكّيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي
ضلال مبين﴾ ﴿١٦٤﴾



قال الإمام الطبري **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (قوله تعالى: **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** يعني: **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ تَأْوِيلَهُ وَمَعَانِيَهُ، وَيُعْنِي بِالْحِكْمَةِ: السُّنَّةَ الَّتِي سَنَّهَا اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾**).

وقد حَفَلَتْ سُنَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَصُنُوفِ الْحِكَمِ، فِي أَبْوَابِ الْعُقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالرَّقَائِقِ وَالْمَنَاقِبِ وَالْمُلْحِ وَالْأَخْبَارِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَبْوَابِ الثَّرَّةِ وَالْفُصُولِ الشَّائِقَةِ.

وهاهنا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، حَدِيثٌ مَاتِعٌ رَوْتُهُ أُمَّنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعَ إِلَيْهِ، وَسُرَّ بِهِ، وَعَلَّقَ عَلَيْهِ.

إِنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (كِتَابِ النِّكَاحِ) فِي بَابِ حُسْنِ الْمَعَاشِرَةِ مَعَ الْأَهْلِ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (كِتَابِ



فضائل الصحابة (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) في بابِ ذِكْرِ حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ.

وذلك أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُحِبُّ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ويأنسُ بها ويُصْغِي إلى حديثها، وذلك لِعِلْمِهَا وَذَكَائِهَا وَحُسْنِ تَبَعُلِهَا.

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَا أَعْلَمُ فِي أُمَّةٍ مُّحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ وَلَا فِي النِّسَاءِ مُطْلَقًا امْرَأَةً أَعْلَمَ مِنْهَا).

وذاًت يوم .. دَخَلَ عَلَيْهَا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَتْ تَذَكُّرٌ لَهُ شَيْئًا مِنْ قَصَصِ الْأَوَّلِينَ وَأَخْبَارِ السَّابِقِينَ، تَفَعَّلُ ذَلِكَ لِتُدْخَلَ السَّرُورَ وَالبَهْجَةَ عَلَى قَلْبِ زَوْجِهَا وَحَبِيبِهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال له: (يا رسول الله، جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقِدْنَ عَلَى أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا)!



نعم .. جَلَسْنَا مَجْلِسَهُنَّ وَاتَّفَقْنَا عَلَى أَنْ يَذْكُرْنَ أَخْبَارَ
بَيْوتِهِنَّ، وَأَنْ يُفْشِينَ أَسْرَارَ أَزْوَاجِهِنَّ! وَهَذَا أَمْرٌ مُحَبَّبٌ إِلَى
نَفُوسِ بَعْضِ النَّاسِ (وَالنِّسَاءِ بِالذَّاتِ) قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

قالت الأولى: (زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ
وَعَرٍ، لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ).

والمعنى: أَنَّ هَذَا الزَّوْجَ غَثِيثٌ قَلِيلُ الْخَيْرِ، لَا يَسْتَحِقُّ
الاهتمامَ وَلَا الْإِكْرَامَ وَلَا التَّضْحِيَةَ، كَأَنَّهُ لَحْمٌ جَمَلٌ هَزِيلٌ
عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ وَعَرٍ، فَلَا اللَّحْمُ طَيِّبٌ يَسْتَحِقُّ النَّقْلَ، وَلَا
الْمَكَانَ قَرِيبٌ سَهْلٌ الْوَصُولَ.

قالت الثانية: (زَوْجِي لَا أَبْتُ خَبْرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا
أَذْرَهُ، إِنْ أَذْكُرُهُ أَذْكُرُ عَجْرَهُ وَبُجْرَهُ).

تقول: أَنَا لَا أَحِبُّ أَنْ أَذْكُرَ خَبَرَ زَوْجِي، وَلَا أَفْصَلَ فِي
بَيَانِ عَيْبِهِ، فَإِنِّي إِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ، ذَكَرْتُ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ، وَلَمْ
أَدْعُ شَيْئًا مِنَ الْمَعَايِبِ إِلَّا الْحَقَّةَ بِهِ.



قال أبو سعيد الضرير: قَصَدْتُ أَنْ زَوْجَهَا كَثِيرُ الْمَعَايِبِ مُتَعَقِّدُ النَّفْسِ عَنِ الْمَكَارِمِ.

وقال ابن فارس: (يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: «أَفْضَيْتُ إِلَيْهِ بَعْجَرِي وَبُجْرِي»، أَي: بِأَمْرِي كُلِّهِ).

قالت الثالثة: (زَوْجِي الْعَشَنَّقُ، إِنْ أَنْطِقَ أُطَلِّقُ، وَإِنْ أَسْكُتَ أُعَلِّقُ).

أَرَادَتْ بِذَلِكَ: أَنَّهَا عِنْدَ زَوْجِ ظَالِمٍ لَا يُعْطِيهَا حَقَّهَا، وَلَا يَقْبَلُ شِكْوَاهَا، إِنْ نَطَقَتْ تُطَالِبُ بِحَقِّهَا طَلَّقَهَا، وَإِنْ سَكَتَتْ كَانَتْ كَالْمُعَلَّقَةِ الَّتِي لَا تُحِبُّ وَلَا تُرْغَبُ.

قالت الرابعة: (زَوْجِي كَلِيلٌ تِهَامَةٌ، لَا حَرَّ وَلَا قُرَّ، وَلَا مَخَافَةَ وَلَا سَامَهُ).

قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَصَفَتْ زَوْجَهَا بِجَمِيلِ الْعِشْرَةِ وَاعْتِدَالِ الْحَالِ وَسَلَامَةِ الْبَاطِنِ، فَكَانَهَا قَالَتْ: لَا أَدَى



عنده ولا مكروه، وأنا آمنةٌ منه فلا أخاف من شرِّه، لا مَلَلٌ عنده
فَيَسْأَمُ مِنْ عِشْرَتِي، وليس بِسَيِّئِ الْخُلُقِ فَأَسْأَمُ مِنْ عِشْرَتِهِ، فأنا
لذيذةُ العيش عنده، كَلَّذَةٌ أَهْلُ تِهَامَةَ بَلِيْلِهِمُ الْمُعْتَدِلُ.

قالت الخامسة: (زوجي إن دَخَلَ فِهْدًا، وإن خَرَجَ أَسَدًا،
ولا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدَ).

ومعنى (فِهْدًا) أي: استعملَ أخلاقَ الفِهْدِ، وهو السَّبْعُ
المعروف، قال أبو عُبيد: وَصَفَتْهُ بِالْغَفْلَةِ عِنْدَ دُخُولِ الْبَيْتِ
عَلَى وَجْهِ الْمَدْحِ لَهُ وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ: شَبَّهَتْهُ فِي لِينِهِ وَغَفْلَتِهِ
بِالْفِهْدِ، لِأَنَّ الْفِهْدَ يُوصَفُ بِالْحَيَاءِ وَقِلَّةِ الشَّرِّ وَكَثْرَةِ النَّوْمِ.

وقولها: (وإن خَرَجَ أَسَدًا) مدحٌ له بأنَّه بين الرجال
كالأسد قوةً وشجاعةً وعزيمةً.

وقولها: (ولا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدَ) مدحٌ له بالكرمِ والتغافلِ
الذي هو شِيْمَةٌ أَهْلِ الْمَرْوَاتِ.



قالت السادسة: (زوجي إن أكلَ لَفَّ، وإن شربَ اشتَفَّ،
وإن اضطجع التَّفَّ، ولا يولجُ الكَفَّ ليعلمَ البَثَّ).

تقول: إنَّ زوجي كثيرُ الأكلِ (إنَّ أكلَ لَفَّ) والمراد
باللَّف: الإكثارُ من الأكلِ واستقصاؤه حتى لا يترك منه شيئاً.

(وإن شربَ اشتَفَّ) أي: أنه نَهَمَ في الشُّربِ، لا يُبقي في
الإناء شيئاً، حتَّى الشُّفَافَة، وهي الصُّبَابَة والقطرات التي
تكون في آخر الإناء.

(وإن اضطجع التَّفَّ) أي: رَقَدَ في ناحية البيت، وتَلَفَّفَ
بكسائه وحُدَّه، وانقبض عن أهله إعراضاً عنهم وزُهداً فيهم.

وقولها: (ولا يولجُ الكَفَّ ليعلمَ البَثَّ) أي: أنه لا يمدُّ
يده إلى زوجته ليعلمَ ما هي عليه من الحُزْنِ فيزيله، أو
الوَجَعُ لِيُخَفِّفَ أثره، فهو قليلُ الشَّفَقَة والاهتمام بها، فهي
كئيبةٌ حزينَةٌ لذلك.



وقيل: بل عابت على زوجها ضعف رجولته وقلة فحولته.

قالت السابعة: (زوجي غيياء أو عيياء، طباقاء، كُلُّ داءٍ له داء، شَجَّكَ أو فَلَكَ أو جَمَعَ كُلاًّ لِكَ!)!

والعيياء والغيياء والطباقاء: أوصافٌ للرجل الأحمق القدم، ثقيل الروح، كأنَّ الحُمقَ والثِقَلَ قد أطبقا عليه إطباقا.

قالت: (كُلُّ داءٍ له داء) قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ: أي أنَّ كُلَّ شيءٍ تفرَّق في الناس من المعاييب فهو موجودٌ فيه!

ثم وَصَفَتْهُ بِأَنَّهُ قَاسِ الْقَلْبِ، غَلِيظُ الْكَبِدِ، جَافُ الطَّبَعِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَوَرَّعُ عَنْ ضَرْبِهَا، فَهُوَ إِذَا غَضِبَ شَجَّ رَأْسَهَا، أَوْ فَلَ جَسَدَهَا (أي: جَرَحَهُ)، أَوْ جَمَعَ الْأَمْرَيْنِ مَعًا! نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

قالت الثامنة: (زوجي: الْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ زَرْبٍ).



قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ: كُنْتُ بِذَلِكَ عَنْ حُسْنِ خُلُقِهِ،
وَلَيْنِ عَرِيكَتِهِ، وَبَأَنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ لِكثْرَةِ نِظَافَتِهِ وَاسْتِعْمَالِهِ
الطَّيِّبِ.

قالت التاسعة: (زوجي رفيعُ العِمَادِ، طويلُ النِجَادِ،
عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ البَيْتِ مِنَ النَادِ).

قال الحافظُ: وَمُحَصَّلُ كَلَامِهَا: أَنَّهَا وَصَفَتْهُ بِالسِّيَادَةِ
وَالكَرَمِ وَحُسْنِ الخُلُقِ وَطَيِّبِ المُعَاشِرَةِ.

قالت العاشرة: (زوجي مالِكٌ، وما مالِكٌ؟ مالِكٌ خَيْرٌ
مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ قَلِيلَاتُ المَسَارِحِ كَثِيرَاتُ المَبَارِكِ، وَإِذَا
سَمِعْنَ صَوْتَ المِزْهَرِ أيقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكٌ).

وهذه المرأةُ أيضًا تمدح زوجها بالكَرَمِ، فإِبلُهُ لَا تَسْرَحُ
إِلَّا قَلِيلًا، وَإِنَّمَا هُنَّ بَوَارِكٌ (بَارِكَاتٌ) قُرْبَ دارِهِ، فَإِنْ فَاجَأَهُ
ضَيْفٌ وَجَدَ عِنْدَهُ ما يَقْرِيهِ بِهِ مِنْ لِحومِها وَألبانِها. (فإذا



سَمِعَنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ) أَي: سَمِعَنَ مَا يَدُلُّ عَلَى قَدُومِ ضَيْفٍ
(أَيَقَنَّ أَنَّهُنَّ هُوَالِكُ) أَي: مَذْبُوحَاتٌ لِلضَيْفِ.

قالت الحادية عشرة: (زوجي أبو زرع، وما أبو زرع؟
أَنَاسَ مِنْ حُلِيِّ أُذُنِي، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِي، وَبَجَّحَنِي
فَبَجَّحْتُ إِلَيَّ نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةِ بَشِقٍ، فَجَعَلَنِي
فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيظٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُفَبِّحُ،
وَأَرْقُدُ فَاتَّصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَاتَّقَمَّحُ.

أمُّ أَبِي زَرَعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرَعٍ؟ عَكُومُهَا رَدَاخٌ، وَبَيْتُهَا
فَسَاخٌ.

ابْنُ أَبِي زَرَعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرَعٍ؟ مَضْجَعُهُ كَمَسَلٌ شَطْبُهُ،
وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ.

بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ؟ طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ
أُمِّهَا، وَمِلْءُ كِسَائِهَا، وَغَيْظُ جَارَتِهَا.



جاريةُ أبي زرع، فما جاريةُ أبي زرع؟ لا تبتُّ حديثنا
تبثيثا، ولا تُنقثُ ميرتنا تنقيثا، ولا تملأُ بيتنا تعشيشا.

ثمَّ قالت: خرَجَ أبو زرع والأوطابُ تُمخَضُ، فلقي
امرأةَ معها ولدانِ لها كالفهدين، يلعبانِ من تحت خصرها
برُمَّانتين، فطلَّقني ونكَّحها!

فَنكَّحْتُ بعده رجُلًا سريًّا، ركبَ سريًّا، وأخذَ خَطِيًّا،
وأراحَ عليَّ نَعْمًا ثريًّا، وأعطاني من كُلِّ رائحةٍ زوجًا، وقال:
كُلِّي أمَّ زرعٍ ومِيري أَهْلِكَ.

قالت: فلو جَمَعْتُ كُلَّ شيءٍ أعطانيه ما بَلَغَ أصغرَ آنيةٍ
أبي زرع!.

قالت عائشة: فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كنتُ لكِ
كأبي زرعٍ لأمِّ زرعٍ).



وبعد أيها الإخوة في الله:

هذا هو نبيكم **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، وَيُضْطَلَعُ
بِدَعْوَةِ الْعِبَادِ، وَيَتَقَدَّمُ الْجَحَافِلَ، وَيَسُوسُ الْخَلَائِقَ، وَيُؤَلِّفُ
قُلُوبَ صِنَادِيدِ الْعَرَبِ، وَيَقْضِي بَيْنَ الْخُصُومِ، وَلَا يَفْتَأُ يَعْلَمُ
النَّاسَ وَيُقْتِيهِمْ.. وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ، يَجِدُ وَقْتًا لزوجته، يُصْغِي
إِلَيْهَا، وَيَسْتَمِعُ إِلَى قِصَصِهَا وَأَخْبَارِهَا، وَلَا يَقْطَعُ حَدِيثَهَا
الطَوِيلَ، ثُمَّ يُعَلِّقُ عَلَى كَلَامِهَا بِأَجْمَلِ عِبَارَةٍ، وَاللَّطْفِ إِشَارَةً،
بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

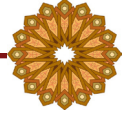
فَأَيْنَ الْمُهْمِلُونَ بِيوتِهِم، الْمُتَكَبِّرُونَ عَلَى نِسَائِهِمْ،
الْمُضَيِّعُونَ لِأَمَانَاتِهِمْ، مِنْ هَدْيِهِ الْكَرِيمِ وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ؟
أَيْنَ الَّذِينَ يُمَضُّونَ شَطْرًا مِنْ نَهَارِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ، وَزُلْفًا
مِنْ لَيْلِهِمْ فِي الْأَسْتِرَاحَاتِ، لَا يَأْبَهُونَ بِامْرَأَةٍ وَلَا يَرْعُونَ وَلَدًا
وَلَا يَحْمِلُونَ أَمَانَةً؟



أين الذين يملؤون بيوتهم ضجيجًا وعتابًا، ولومًا وإيلا ما؟

أين هم من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائل: (استوصوا بالنساء خيرًا) (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) الذي (كان يكون في مهنة أهله) أي: في خدمتهم، الذي قال: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ)، الذي قال: (إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّازٍ، صَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ، جَيْفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِالدُّنْيَا جَاهِلٌ بِالْآخِرَةِ)، وَالْجَعْظَرِيُّ: هُوَ الْفِظُّ الْغَلِيظُ الْمُتَكَبِّرُ الْجَانِي، وَالصَّخَّابُ: كَثِيرُ الصَّخَبِ رَفِيعُ الصَّوْتِ دَائِمُ اللَّجَاجِ.

جاء جابر بن سليم إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال يا رسول الله: اعهد إليّ (أي أوصني) فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَسْبَنَّ أَحَدًا، وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ)، قال جابر: فما سببتُ بعده حرًا ولا عبدًا، ولا شاةً ولا بعيرًا. إسناده صحيح.



اللَّهُمَّ اهْدِنَا لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِها إِلا أَنْتَ،
وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَها لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَها إِلا أَنْتَ.
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَي نَبِيِّنا مُحَمَّدَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.



التصميم الداخلي للكتاب

Tharwat Sultan@yahoo.com

Tharwat Sultan

للتواصل:  

00201019530152